رحلات السندباد



الرحلة الرابعة

سروج الخيل

رحلات السندباد



الرحلة الرابعة

سُروج الخيل

اعداد ورسوم

رفعت عفيفي

الدار النموذجية

للطباعة والنشر



للطباعة والنشر والتوزيع

صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية

الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• الدار النموذجية

الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية

بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ

E. Mail alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

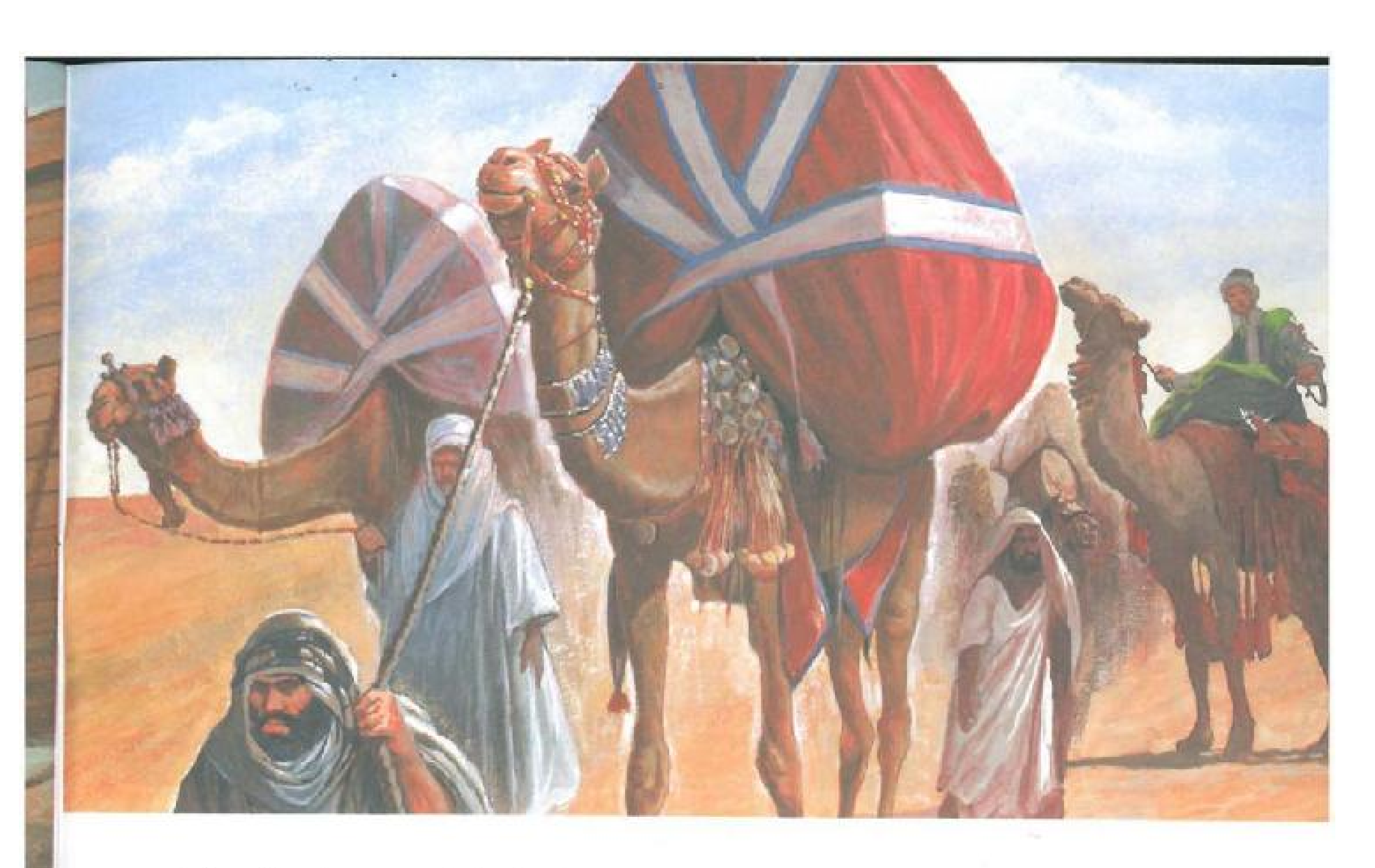
موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com



مَضَتْ سنواتٌ ثَلَاث على عَوْدَتي مِنْ رِحْلَتي الثَّالِثَةِ. مَكَثْتُ فِيها بِمَدِينَةِ بَغْداد أُباشِر أعْمَالي الَّتي ازدَهَرَتْ ومَتاجِري الَّتي كَثُرَتْ وتِجارَتي الَّتي اتَّسَعَتْ وأَصْبَحَتْ تَدُرُّ عليَّ كثيراً مِنَ الأَمْوالِ والأَرْباح. وكنتُ خِلَالَ هٰذِهِ السَّنَواتِ الثَّلَاثِ سَعِيداً بِحَياتي الهَادِئَةِ، مُغْتَبِطاً بِقُرْبي مِنَ الأُمَراءِ والكُبَراءِ، مُحَاطاً بِكُلِّ مَظَاهِرِ التَّرَفِ والرَّفاهِيَّة. ولم يَدُمْ حَالي طَويلاً.. إذْ سُرعانَ ما بَدَأَ المَلَلُ يتسرَّبُ إلى نَفْسي بَعْدَ هٰذِهِ السَّنَواتِ الثَّلَاثِ، وأَخَذَتِ الذِّكْرَيَاتُ تُلَاحِقُني في يَقْظَتي ومَنامي، وَٱشْتَقْتُ إلى السَّفَرِ وَٱلمُغَامَرَةِ.

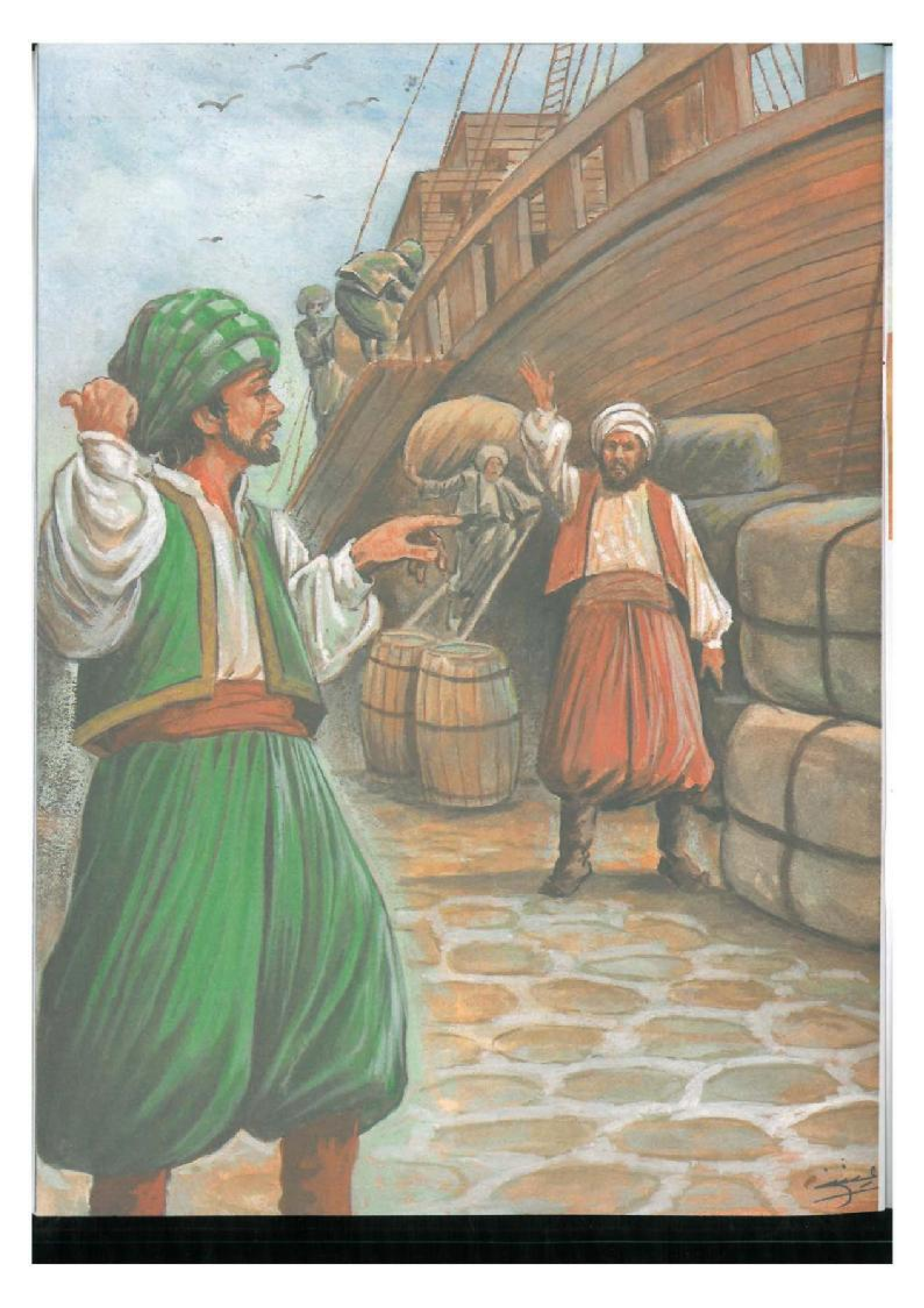
وكَمْ حاوَلْتُ أنْ أَدْفَعَ هٰذِهِ الأفكارَ بَعِيداً عَنِّي وأَقُولَ لِنَفْسي لَقَدْ تَعَرَّضْتِ لِكَثيرٍ مِنَ المَخَاطِرِ والأَهْوَال. وإنَّ المَرْءَ لا يَسْلَمُ في كُلِّ مَرَّةٍ. ولٰكِنِّي أَجِدُني في النِّهَايَةِ أُحَدِّثُ نَفْسي بأَنَّ قَدَرِي لا يَعْلَمُهُ إلاَّ ٱللَّهُ. وإذا كانَ لِي عُمْرٌ فَلَنْ يَنْقُصَ مَهْما عَظُمَتِ الأَخْطَار. ومَهْما كَانَ الأَمْرُ فَإِنِّي أَجِدُ في الأَخْطَارِ لَذَّةً تَفُوقُ لَذَّةَ هٰذِهِ الحَيَاةِ المَأْمُونَةِ الهَادِئَة. وَهٰكَذا



آسْتَقَرَّ عَزْمي فِي النِّهَايَةِ عَلَى السَّفرِ فَلَمْ تَمْضِ أيامٌ قَليلَةٌ إلاَّ وكُنْتُ قَدْ جَهَّزْتُ كلَّ ما يَلْزَمُ مِنْ مَالٍ وتِجَارَةٍ وسِرْتُ فِي قَافِلَةٍ كَبِيرَةٍ إلى مَدِينَةِ البَصْرَةِ بَعْدَ أنْ أوْصَيْتُ عُمَّالي عَلى مَتْجري.

وفي البَصْرَةِ كَانَتْ هُناكَ سُفُنٌ كَثيرَةٌ تتأهَّبُ للرَّحيلِ إلى كُلِّ بِلادِ الدُّنْيا فتخيرتُ أكبرَ وَاحِدَةٍ مِنْها وألقيْتُ فِيها بِجارَتِي وأحْمَالِي مَعَ غَيْرِي مِنَ التجَّارِ والرُّكّاب. وَتحرَّكتْ بِنا عَلى بَركَةِ آللّهِ تَدْفَعُها رِيحٌ طَيِّبَةٌ عَلى بَحْرٍ هَادِىءٍ إلى عَالَمٍ مَجْهُول.

مرتْ أيامٌ عَديدَةٌ وآلسَّفِينَةُ تَنْسَابُ فِي رِقَّةٍ وهُدُوءٍ تَحْتَ سَمَاءٍ صَافِيَة، إلى أنْ لاحتْ لَنا جَزِيرَةٌ آتَّجَهْنَا إلَيْها. وألْقَيْنا بِهَا مَرْسَانا فوَجَدْنَاها آهِلَةً بالسكّانِ المُسَالِمِينَ فاشْتَرَوْا مِنَّا واشتريْنا مِنْهُمْ ومَكَثْنا فِيها عِدَّةَ أيَّام ثُمَّ تَرَكْناها إلى غَيْرِهَا بَعْدَ عِدَّةِ شُهُورٍ حَيْثُ فَعَلْنا الشَّيْءَ نَفْسَهُ، ثُمَّ أبْحَرْنا إلى جَزِيرةٍ أُخْرَى وأُخْرَى وفي كلِّ مَرَّةٍ نَبيعُ ونَشْتَرِي حَتَّى أصَبْنَا رِبْحاً طَيِّباً وتَجمَّعَ لَدَيْنا آلعَدِيدُ مِنْ بَضَائِعِ هٰذِهِ الجُزُرِ. وكانَ قَدْ مَضَى عَلَيْنا

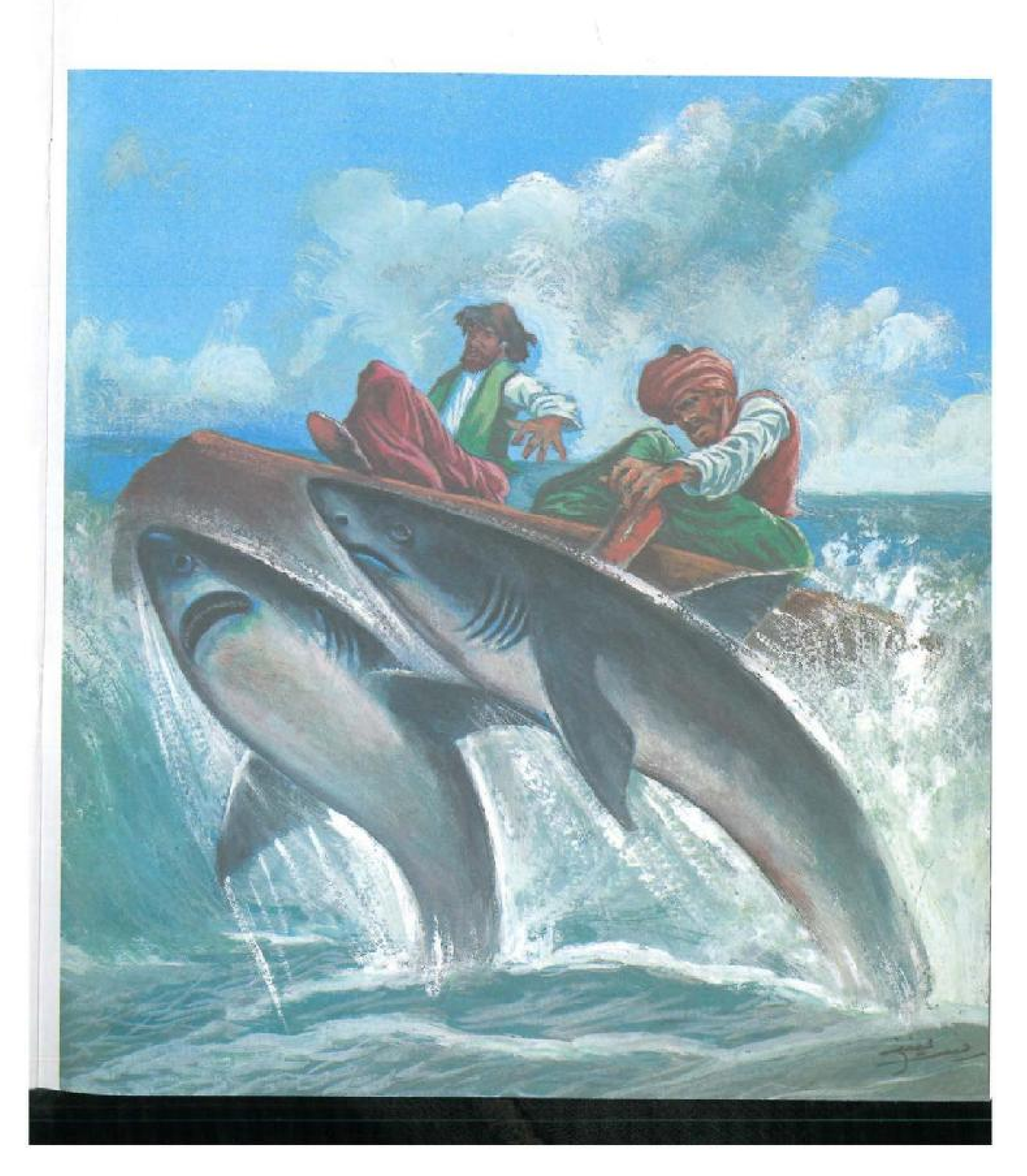


أكْثَرُ مِنْ عامٍ ولَمْ يَعُدْ أمامَنا إلاَّ أنْ نَعُودَ إلى مَدِينةِ البَصْرةِ وكانَ هذا رَأْيَ الكَثيرِ مِنّا. إلاَّ أنَّ البعضَ كانَ مِنَ الجَشَعِ بِحَيْثُ غَرَّهُ الرِّبْحُ الوَفِيرُ فأرادَ المَزِيدَ مِنْهُ وطالبَ بأنْ نَذْهَبَ إلى بَعْضِ الجُزُرِ الأُخْرى. وأغْرى هؤُلاءِ رُبّانَ السفينةِ والبَحّارةَ بالمالِ فَوافَقُوهُ على ما أرادَ؛ وعلى كُرْهٍ مِنّا واصَلْنا الرَّحِيلَ لِعِدَّةِ أيّام.

وفي أحدِ الأيّام وقَبْلَ غُروبِ الشَّمْسِ بِقَليلٍ ٱكْفَهَرَّ الجَوُّ وٱمْتَلأتِ السَّماءُ بِٱلغُيُومِ ٱلكَثِيفَةِ السَّوْداءِ فَغامَت الدُّنْيا وأظْلَمَتْ وَعَلا ٱلمَوْجُ كٱلجِبالِ وٱنْهَمَرَ ٱلمَطَرُ كٱلسَّيْلِ وباتَتِ السَّفِينَةُ كأُرْجُوحَةٍ يَقْذِفُها ٱلمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ، فَهِيَ تَعْلُو تارَةً إلى السَّماءِ ثُمَّ تَغُوصُ تَحْتَ ٱلماءِ ونَحْنُ نَصْرُخُ ضارِعِينَ إلى ٱللّه، ونُوَلْوِلُ خَوْفاً مِنَ ٱلغَرَقِ. وقَوِيَتِ

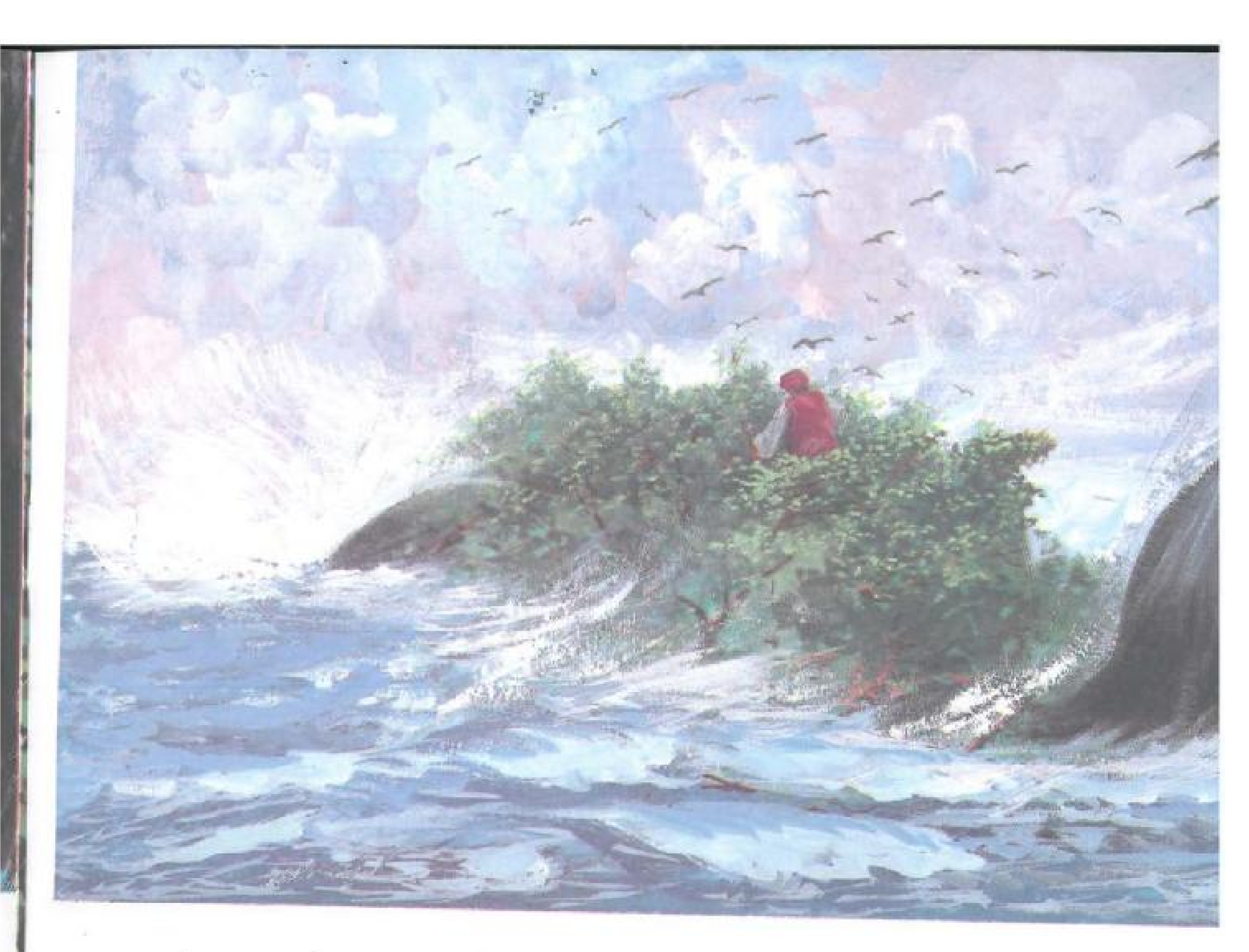
الرِّيحُ عَلَى الشِّرَاعِ فَمزَّقَتْهُ وتَكَسَّرَتِ الصَّوَارِي فَسَقَطَتْ عَلَيْنا وعَلَى ظَهْرِ ٱلمَرْكَبِ لِتَقْتُلَ ٱلبَعْضَ مِنَّا وَتَأْتِي عَلَى ٱلْمَرْكَبِ بِكَامِلِهِ. وَلَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ إِلَّا وأَنا أَضْرِبُ سَاعِدِي فِي ٱلماءِ فِي مُحَاوَلَةٍ يَائِسَةٍ لِلنَّجَاةِ حَتَّى سَاقَ ٱللّٰهُ إِلَيَّ إِحْدَى الصَّوَارِي ٱلمَكْسُورَةِ فتَشَبَّثْتُ بِهَا وهٰكَذَا فَعَلَ البَعْضُ مِمَّنْ كُتِبَتْ لَهُمُ ٱلنَّجَاةُ. ومَرَّتْ بِنا سَاعَاتٌ كَأَنَّها دَهْرٌ فِي خِضَمِّ هٰذِهِ الأَمْوَاجِ حَتَّى ظَهَرَتْ تَبَاشِيرُ صَبَاحِ ٱليَوْمِ التَّالِي، فَهَدَأَتِ الأَمْوَاجُ وٱنْقَشَعَ ٱلسَّحَابُ وسَكَنَ ٱلهَوَاءُ وبَقِيَ الصَّارِي فَوْقَ صَفْحَةِ ٱلماءِ ونَحْنُ فَوْقَهُ نَنْظُرُ إِلى بَعْضِنا ثُمَّ نَتَلَفَّتُ حَوْلَنا بَحْثاً عَنْ شَاطِىءٍ قَرِيبٍ أَوْ سَفِينَةٍ مُبْحِرَةٍ. ورَغْمَ أَنَّنا كُنَّا سُعَدَاءَ بِنَجَاتِنا بَيْنَمَا غَرِقَ أَكْثَرُ الرِّفَاقِ إِلَّا أَنَّنا كُنَّا نَجْهَلُ ٱلمَصِيرَ الَّذِي يَنْتَظِرُنا ونَحْنُ عَلَى هٰذِهِ ٱلحَالِ الَّتِي ظَلَلْنَا

عَلَيْها حتّى ذَهَبَ ٱلنَّهارُ كُلُّهُ وأَقْبَلَ اللَّيْلُ وَقَدْ صِرْنا في حَالَةٍ مِنَ الإعْيَاءِ والجُوعِ والعَطَشِ لا نَقْدِرُ مَعَها عَلى ٱلحَرَكَةِ أو ٱلكَلاَم. وأشْرَقَ نُورُ يَوْمٍ آخَرَ وأَقْبَلَ مَعَهُ الهَلاَكُ مَع

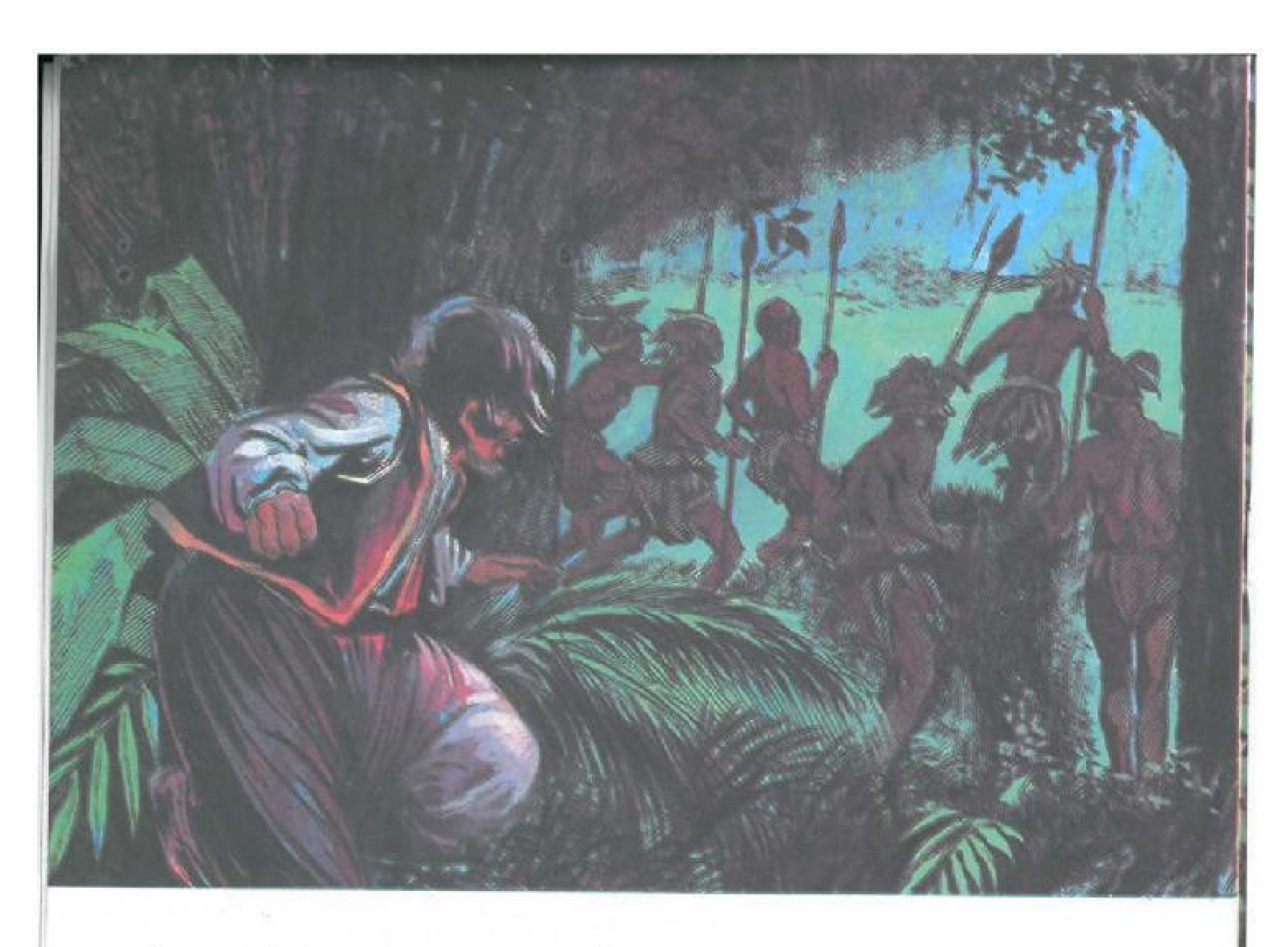


الأَسْماكِ الكَبِيرَةِ المُتَوَحِّشَةِ الَّتي رَاحَتْ تَحُومُ حَوْلَنا وتَشُقُّ الماءَ إِلَيْنا مِنْ كُلِّ اتِّجاه. فأَخْرَجْتُ خِنْجَرِي مِنْ غِمْدِه وأَمْسَكْتُهُ بِيَدِي وجَعَلْتُ أَرْقُبُ الأَسْماكَ مِنْ فوقِ الصَّارِي وقَدْ امْتَلأْتُ رُعْباً مِنْها. وفي لَحْظَةٍ خاطِفَةٍ قَفَزَتْ إِحْدَاها مِنَ المَاءِ لتَخْتَطِفَ واحداً مِنّا ثُمَّ غاصَتْ بِهِ إلى الأَعْماق. ولَمْ نكَدْ نفيقُ مِنْ ذُهولِنا حتَّى قَفَزَتْ واحدةٌ أُخرَى لتَأْخُذَ رَجُلاً آخَرَ. فصرختُ وقلتُ: «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. هلْ نَجَوْنا مِنَ الغَرَقِ لِكَيْ تأكُلَنا هٰذِهِ الأَسْماكُ؟!»، ووجَدْتُني أَقْبِض جَيِّداً على خِنْجَرِي وصَمَّمْتُ عَلَى أَنْ أُدافِعَ عَنْ نَفْسِي وأَلَّا أَكُونَ طعاماً سَهْلاً لها. وجعلتُ أُقَلِّبُ بَصَرِي بِسُرْعَةٍ فِي كُلِّ مَكانٍ وأراقِبُ حَرَكاتِها حَتَّى لا تُفاجِئَني إِحْداها.

وظَهَرَتْ لِي واحدةٌ تشقُّ المَاءَ وتَنْدَفِعُ نَحْوِي فِي سُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ حتَّى لَمْ يَعُدْ بَيْني وبَيْنها إلا مِقْدارُ ذِراعٍ وقَفَزَتْ فَوْقِي، إِلَّا أَنِّي أَحْنَيْتُ رَأْسِي بِسُرْعَةٍ بَيْنَما يَدِي مُرْتَفِعَةٌ بالخِنْجَرِ إلى أَعْلَى لِيَشُقَّ الخِنْجَرُ بَطْنَها وتَخْرُجَ أمعاؤها قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ فِي المَاءِ. وما أَنْ سَقَطَتْ حَتَّى تَحَوَّلَ لَوْنُ المَاءِ إلى حُمْرَةٍ قانِيَةٍ. ومِنْ عَجِيبِ الأَمْرِ أَنَّ بَقِيَّةَ الأَسْماكِ قَدْ تحوَّلَتْ عنَّا إِلَيْها وتَجَمَّعتْ حَوْلَها تَنْهَشُ فِي لَحْمِها. وصَرَخْتُ فِي مَنْ مَعي وطَلَبْتُ إِلَيْهِمْ أَنْ يُجَذِّفوا بِأَيْدِيهِمْ وأَرْجُلِهِمْ حتَّى نَبْتَعِدَ بالصَّارِي عَنْ هٰذا المكانِ قَبْلَ أَنْ تفرغَ الأَسْماكُ مِنْ وَلِيمَتِها. وبالرغْمِ مِنْ أَنَّنا نَجَحْنا في الابْتِعادِ إِلَّا أَنِّي ظَلَلْتُ قابضاً بِشِدَّةٍ عَلَى خِنْجَرِي خَوْفاً مِنْ مُلاحَقَتِها لنا. ولٰكِنْ ظَهَرَ لَنا شيءٌ آخَرُ. فقدْ عادَ البحرُ إلى ثَوْرَتِهِ مرةً أُخرى فَارْتَفَعَ المَوْجُ وهَطَلَ المَطَرُ فَوْقَ رُؤُوسِنا وانْدَفَعَ بِنا الصَّارِي وتَشَبَّثْنا بِهِ بِشِدَّةٍ كَيْلا نسقُطَ مِنْ فَوْقِهِ بَيْنَما هُوَ يَعْلُو ويَهْبِطُ وصِرْنَا نَغِيبُ عَنِ الوَعْيِ ثُمَّ نُفِيقُ ثانيةً. وجاءَتْ مَوْجَةٌ عاتِيَةٌ كالجَبَلِ الشَّاهِقِ فَأَطاحَتْ بِنا ودَفَعَتْنا دَفْعَةً قَوِيَّةً فِي سُرْعَةٍ جُنُونِيَّةٍ لِنَجِدَ أَنْفُسَنا بَعْدَها مُسْتَلْقِينَ عَلَى رِمالِ شاطِئٍ لا نَدْرِي مِنْ أَيْنَ جاءَ؟. وانْتابَتْنا سَعادَةٌ غامِرَةٌ وهَلَّلْنا فَرِحِينَ بِالنَّجاةِ وشَكَرْنا اللَّهَ ونَحْنُ نَصْرُخُ مِنَ الفَرَحِ ولا نُصَدِّقُ النَّجاةَ.

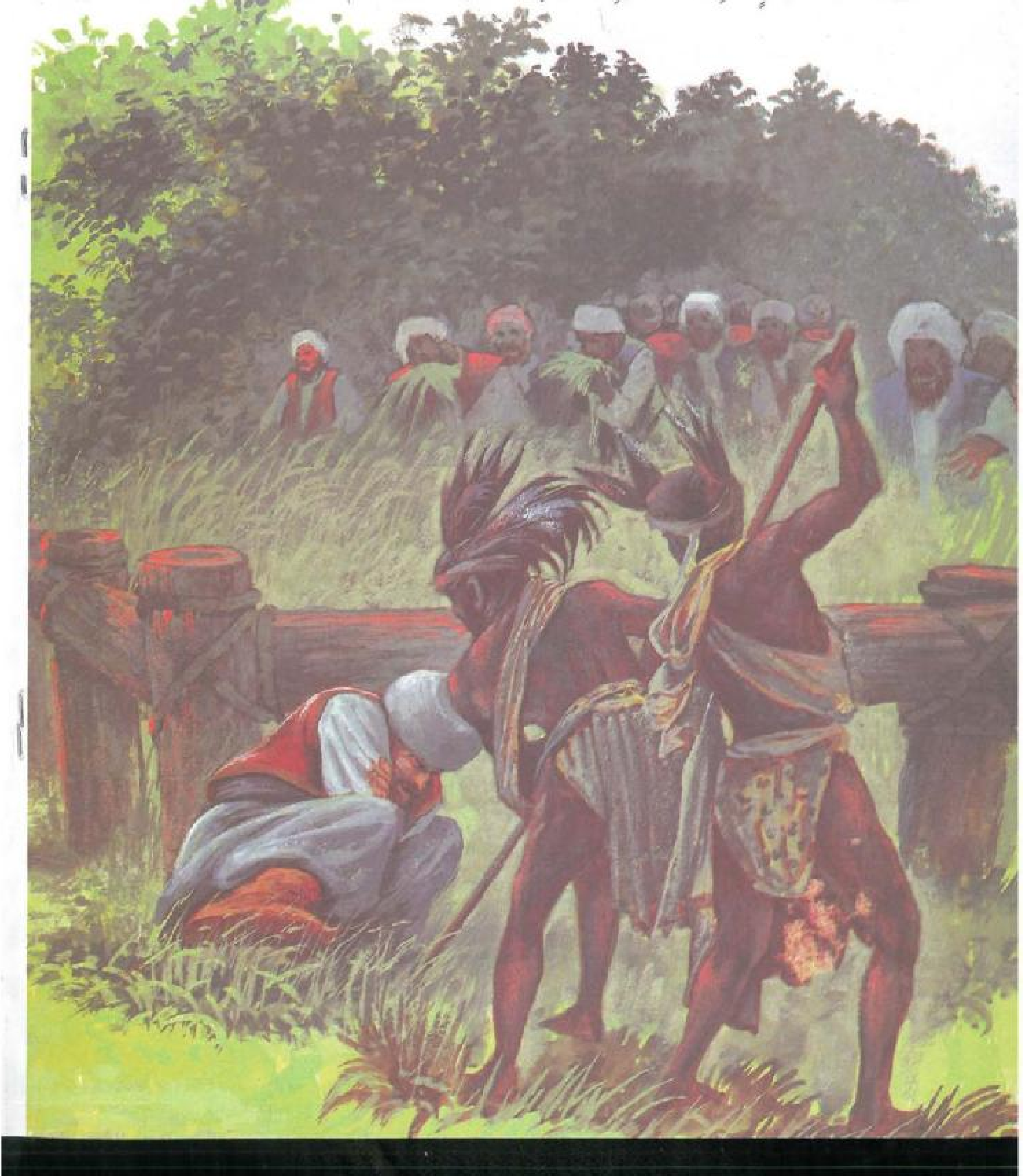


وأسْرَعْنا بالابْتِعادِ عَنِ البَحْرِ إلى دَاخِلِ الشَّاطِيءِ حَتَّى لا تجرُفَنا الأَمْواجُ مَعَها ثُمَّ آسْتَلْقَيْنا في أَمَانٍ لِنَسْتَرِيحَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ عَنَاء. وحانَتْ مِنِّي آلْتِفَاتَةٌ إلى مَا حَوْلي فَرَأَيْتُها جَزيرَةً كَبِيرَةً كأَنَّها دُنْيا كَامِلَةٌ بِجِبَالِها الشَّاهِقَةِ وصُخُورِها الهَائِلَةِ. وبَعْدَها نَظَرْتُ إلى زُمَلائي فَرَأَيْتُهُمْ وَقَدْ أَسْلَمَهُمُ آلتَّعَبُ إلى النُّعَاسِ فَأَسْلَمْتُ نَفْسِي مِثْلَهُمْ لِلنَّوْمِ العَمِيق. وفي صَباحِ اليومِ التَّالي استَيْقَظْتُ عَلَى حَرارَةِ الشَّمْسِ آلمُتَوَهِّجَةِ فأيْقَظْتُ زُملائِي وكُنَّا جَميعاً في حالَةِ إعيَاءٍ مِنَ الجُوعِ وقَرَّرْنا أنْ نَدْخُلَ الجَزِيرَةَ للبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ يُؤكَل. وفِي دَاخِلِها رأيْنا الأشجارَ تتشابَكُ وأَغْصَانُها خاليةٌ مِنَ الثَّمرِ فعلِمْنا أنَّها آهلةٌ بالسكَّانِ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ ثِمارَها. ولَمْ نجدْ إلا بعْضَ الأشجارِ الَّتي لَمْ تَنضَجْ ثِمارُها بَعْدُ فالتهَمْنا هذهِ الثِمارَ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ وعَثَرْنا عَلَى نَهْرٍ فَرَوَيْنا مِنْهُ ظَمأَنا، ثُمَّ واصَلْنا السَّيْرَ



في غاباتِها وبَيْنَ أحْرَاشِها حتّى ظَهرتْ لَنا أرْضٌ واسِعَةٌ تناثَرتْ بِهَا أكواخٌ مِنَ القشِّ وفروعِ الشجرِ فهلَّلنا لرُؤْيتِها وفرِحْنا غايَةَ الفَرحِ، ثُمَّ أسْرَعْنا الخُطى إليْها فشاهدْنا بعضَ أهلِها عُراةَ الأجْسَادِ إلاَّ مِنْ أجزاءٍ قَليلَةٍ قَدْ غَطَّتْها جُلودُ الحيوانَاتِ أوْ أوراقُ الأشْجارِ. وما أنْ رَأَوْنا حتّى نَادَوْا بَعْضَهُمْ فَجاؤُا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ مُسْرِعِينَ فَامْتَلأَ المكانُ بِهِمْ، ووَجَدْنا أنْفُسَنا وقَدْ أحاطُونا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَهُمْ يصرُخُونَ ويُهَلِّلونَ ويَقْفزُونَ حَوْلَنا كالقُرُودِ أو كأنَّهُمُ ٱلشَّيَاطِينُ. وٱمتلأتْ نُفُوسُنا مِنْهُمْ رُعْباً وخَوْفاً وهُمْ يسوقوننا ويدفعوننا بحرابهم إلى ناحية كوخٍ كبيرٍ خرجَ منهُ رجلٌ كأنَّهُ قردٌ ضخمُ الجثَّةِ، أفْطسُ الأنفِ، مرتفعُ الجَبْهة، تتدلّى شفتاهُ الغليظتَانِ كأُذُنَي الفِيل. وما أنْ رأوْهُ حتّى سَجدُوا جميعاً أمامَهُ يضرِبُونَ الأرضَ بِأكُفِّهِمْ ويُصْدِرُونَ أصْواتاً كأنّها الرَّعْدُ. ثُمَّ قامُوا بَعْدَ ذلِكَ يقفزُونَ ويرقُصُونَ ثُمَّ

دَفعُونَا إلى مكانٍ فِي وسَطِهِمْ بينَما جَلَس زعيمُهُمْ فوْقَ ظَهْرِ اثنينِ مِنْهُم فَسَكَنَ الجَمِيعُ ووقَفُوا رَافِعِينَ حِرَابَهُمْ وَقَدْ لَمعَتْ أَسِنَّتُها تَحتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ لِتَبْعثَ المَوْتَ فِي نُفُوسِنا وتَدْفَعَ الرُّعْبَ إلى قُلُوبِنَا. وقامَ البَعْضُ مِنْهُمْ بإشْعَالِ حَطَبٍ وفُروعِ شَجَرٍ تَحْتَ قُدورٍ كَبيرةٍ وجَاؤُا بأعْشَابٍ غَرِيبَةِ الشَّكْلِ فَألقوْا بِها دَاخِلَ القُدُورِ. ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَها أنْواعاً مِنَ



الدُّهْنِ والزُّيوتِ لَها رائِحَةٌ كَرِيهَةٌ. أمَّا نَحْنُ فَقَدْ أيْقَنَّا أنَّنا بَعْدَ قَلِيلٍ سَنُوضَعُ داخِلَ هٰذِهِ القُدُورِ أحياءً لِنَكُونَ طعاماً لَهُمْ، فَوَقَفْنا ساكِنِينَ وقَدْ أسْلَمْنا أمْرَنا لله ولَمْ يَعُدْ لنا مِنْ مَهْرَبٍ مِنْ هٰذا المَصِيرِ. لٰكِنَّ يأسَنا انْقَلَبَ إلى سُرورٍ بَعْدَ أنْ شاهَدْناهُمْ يُفْرِغُونَ مِمَّا فِي هٰذِهِ القدورِ في أوانٍ خشبيةٍ وقَدَّمُوهَا إلَيْنا لِنَشْرَبَها وقُلْنا لِبَعْضِنا إنَّهُمْ قَوْمٌ كُرَماء يُكَرِّمُونَ ضُيُوفَهُمْ بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَة. وضَحِكْنا فِي وُجُوهِهِمْ ونحْنُ نُقَرِّبُ الأَطْباقَ مِنْ أفْواهِنا بَيْنما كانُوا يَنْظُرُونَ إلَيْنا. ومَا أنْ قَرَّبْتُ الطَّبَقَ مِنْ فَمِي حتَّى نَفَذَتْ إلى أنْفي رائحةٌ كريهةٌ فَنَظَرْتُ إلى زُمَلائِي ورأيْتُ الامْتِعاضَ عَلَى وُجُوهِهِمْ. فقلْتُ لَهُمْ لا بُدَّ أنْ تَشْرَبوا وإلاَّ اعتَبَرُوها إهَانَةً مِنَّا لَهُمْ ولا نَعْلَمُ ما يُمْكِنُ أنْ يَحْدُثَ لَنا مَعَهُمْ. فشربوا جَميعاً كارِهِينَ. أما أنَا فَلَمْ أستَطِعْ أن أُقَرِّبها مِنْ فَمِي وَسَكَبْتُ ما فِي الطَّبَقِ عَلَى الأرْضِ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُمْ وتَظاهَرْت بأنِّي شَرِبْته كلَّهُ. ونَظَرْتُ إلى زُمَلائي فَرَأَيْتُهُمْ وقَدْ اتسَعَتْ حَدَقاتُ عُيُونِهِمْ عَنْ ذِي قَبْلُ وبَدَوْا ذاهِلينَ كالمَدْهُوشِين. وعَلِمْتُ أنَّ هٰذَا مِنْ جَرَّاء ذٰلِكَ الشَّرابِ ومِنْ أثَرِهِ فقلَّدْتُ زُمَلائِي حَتَّى لا يَكْتَشِفُوا فِعْلَتي. ورَأَيْتُ القَوْمَ بَعْدَ ذٰلِكَ يصرُخُونَ فَرِحِينَ ويقْفِزُونَ إلَى أعْلَى في نَشْوَةٍ. وقَامَ زَعِيمُهُمْ إلَى كُوخِهِ تارِكاً القَوْمَ يَسُوقُونَنَا كالأَغْنامِ إلى حَظِيرَةٍ وأخَذُوا اثْنَيْنِ مِنَ الرِّجالِ جَرُّوهُما مِنْ آذانِهِما إلَى خارِجِ الحَظِيرَةِ بَعْدَ أنْ أغْلَقُوها عَلَيْنا. وكانَ مَصِيرُ الرَّجُلَيْنِ الذَّبْحَ كالخِرافِ. فَأَخَذُوا وَاحِداً ووضَعُوه فَوْقَ النَّارِ لِيَكُونَ شِواءً لِزَعِيمِهِمْ. أمَّا الثاني فقَدْ مَزَّقُوهُ إرَباً إرَباً بَيْنَهُمْ وأكَلُوه نَيْئاً.

شاهَدْتُ هٰذا كُلَّهُ وأنَا أرْتَجِفُ مِنَ الخَوْفِ والفَزَعِ. ونَظَرْتُ إلى زُمَلائي فَوَجَدْتُهُمْ ذاهِلِينَ مِنْ كلِّ ما يَحْدُثُ حَوْلَهُمْ وحَاوَلْتُ مُخاطَبَتَهُمْ فلَمْ أسْمَع مِنْهُمْ سِوَى أَصْواتٍ تُشْبِهُ النَّهِيقَ والنَّعِيق. وأَحْسَسْتُ بأنَّهُمْ ما عَادُوا آدَمِيِّينَ. بلْ حيوانَاتٍ أوْ بَهائِمَ. وما عَادَتْ تُرْجَى مِنْهُمْ فائِدَة. ولهذا قَرَّرْتُ أنْ أهْرُبَ قَبْلَ أنْ يَصِيرَ حالي مِثْلَهُمْ ويَنْتَهِيَ أمْري إلى مَصِيرِهِمْ. فَانْتَظَرْتُ حتَّى أتى المساءُ وأَسْدَلَ الليلُ ستارَهُ المظلمَ على هذهِ الجزيرة،



فقفزْتُ مِنْ فَوْقِ سُورِ الحَظِيرةِ وتَحَسَّسْتُ طَرِيقي إلى نَاحِيَةِ الغاباتِ الكَثيفةِ الشَّجرِ رأخذْتُ أتسلّلُ بَيْنَ أحْراشِها وكُلّي أَمَلٌ بأَنْ أفِرَّ بعيداً عَنِ القَرْيَةِ المُتَوحّشة. ومَضى الليلُ كُلُّهُ وأنا عَلَى تِلْكَ الحَالِ، ثُمَّ أشرَقَ الفجْرُ وجَاءَ الصباحُ فأردتُ أنْ أسْتَرِيحَ قَلِيلاً، لَكِنّي خِفْتُ أنْ يَلْحَقُوا بِي أو يَعْثُرُوا عليَّ فَواصَلْتُ سَيْرِي حَتّى انتهيتُ إلى جَبَلٍ شاهِقِ الارْتِفاعِ وأخَذْتُ أصْعَدُهُ في مَشَقَّةٍ بالِغةٍ لوعُورَتِه وصَلابَتِه، واستَغْرَقَ صُعُودي يَوْماً كاملاً حتّى غربَتِ الشَّمْسُ، وكانَ التَّعَبُ والجهْدُ قَدْ نالا مِنّي فجَلَسْتُ أسْتَرِيحُ وغَلَبَني النعَاسُ فاستلْقَيْتُ عَلَى الأرْضِ وأسْلَمْتُ نَفْسِي للنَّوْمِ حتّى الصَّباح.

ولمّا استيقَظْتُ كانَ الجوعُ قدْ جَعَلَنِي في حَالٍ لا أقْدِرُ مَعَها على مُواصَلَةِ السَّيرِ فأخَذْتُ أبْحَثُ عنْ أيِّ شيءٍ فَلَمْ أجِدْ سِوَى الأعْشَابِ الَّتِي تَنْبُتُ في ثَنَايَا الجَبل فأكلتُ مِنْها ثُمَّ واصَلْتُ السيرَ بَعْدَ ذَلِكَ لِعِدَّةِ أيَامٍ آكُلُ ما يصادِفُني وأشربُ مِنْ أيِّ نبعِ ماءٍ. حتّى أشرفْتُ فِي النهايةِ علَى مكانٍ فسيحٍ مليءٍ بالخُضْرةِ ويَجْرِي فيهِ نَهْرٌ كبيرٌ ورأيتُ بعضَ الناسِ عنْ بُعْدٍ يرتَدُونَ مَلابِسَ بَيْضاءَ يَزْرَعُونَ أو يجمَعُونَ بعض الخُضْرَواتِ مِنْ أرْضٍ منسَّقَة الشَّكْلِ علَى هيئَةِ الأراضي الَّتِي تُزْرَعُ في بَلَدي. ولاحَ لي أنَّهُمْ قومٌ طَيِّبونَ غيرُ الذين فَرَرْتُ مِنْهُم. لكنّي مَعَ ذَلِكَ شعَرْتُ بالخَوْفِ حذراً مِنْ أنْ يكونوا مِثْلَهُم. فظَلَلْتُ فِي مَكاني أرْقُبُهم عَنْ بُعْد فكانَتْ تصرّفَاتُهُمْ هادِئةً ممّا شجَّعَني على أنْ أقتَرِبَ مِنْهُمْ أكثرَ فرأيْتُ ملامِحَ وجُوهِهِم السَّمْراءِ تَنِمُّ عنْ طِيبَة. واتخذْتُ مكاناً خَلْفَ شَجرةٍ بِحَيْثُ لا يَرَوْنَني فسَمِعْتُهُمْ يتحَدَّثُونَ إلى بَعْضِهِمْ بَعْدَ أنْ فرَغوا مِنْ عَمَلِهِمْ فغَمَرَني إحْسَاسٌ جارِفٌ بالسعادة لَمّا وجدْتُهُم يَتحَدَّثُونَ بِلُغَتي. فتركتُ مَكاني واندفعتُ إليْهِمْ وأنا أنادِي عَلَيْهِمْ، انزعَجُوا بادِئَ الأمْرِ لرُؤْيَتي، وغَرِيبِ هَيْئَتِي، ثُمَّ تَقَدَّمُوا مِنّي حينَ سَمِعُونِي أقولُ لَهُمْ لا تخافُوا مِنّي فأنا رَجُلٌ غَرِيبٌ عنْ هَذِهِ البلادِ وهارِبٌ مِنَ السُّودِ المتَوَحّشين. فأقْبَلُوا إليَّ مُرَحّبينَ ومُتَسائِلينَ عمّنْ أكُونُ ومِنْ أيْنَ جِئْتُ. فَرَوَيْتُ لَهُمْ



قِصَّتِي كَامِلَةً وَهُمْ يتعجَّبُونَ ويَحمدُونَ اللّهَ عَلَى سَلامَتِي. ثُمَّ جاؤُونِي بِطَعَامٍ وشَرابٍ فأَكَلْتُ حتَّى شَبِعْتُ وشَرِبْتُ حتَّى ارتَوَيْتُ وكانَتِ الشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ إلى المَغيبِ فقالوا لي هَلْ تأتِي مَعَنا أَمْ ستواصِلُ السيرَ فِي حالِ سَبِيلِكَ؟. فسألتُهُمْ إلى أينَ هُمْ يقصدُونَ؟. فقالوا إنَّ مدينتَهُمْ خلْفَ هٰذا النهرِ العَظِيمِ. فقلتُ لهُمْ إني ذاهبٌ مَعَكُمْ على بَرَكَةِ اللّه. وذهبْتُ معهُمْ وعَبَرْنا هٰذا النهرَ الكبيرَ فِي قوارِبَ كانَتْ راسِيَةً على الشاطِئِ. وحينَ

وطِئَتْ أقدامُنا الشاطِىءَ الآخَرَ كانَ الليلُ قدْ أقْبَلَ فظَهَرَ القَمَرُ ساطِعاً مُضِيئاً فسِرْنا بينَ المَزارِعِ والأشْجارِ حتّى انتهَيْنا إلى قَرْيَةٍ صَغيرَةٍ بُيوتُها مِنَ الطّينِ والأحْجارِ فأقَمْتُ في أحَدِها مَعَ بَعْضِهِمْ حتّى الصَّباحِ، وكانوا قَوْماً كُرَماءَ في ضِيافَتِهِمْ. وفي الصَّباحِ تَجَمَّعَ أهْلُ القَرْيَةِ كُلُّها بَعْدَ أنْ عَرَفوا حِكَايَتي وأقْبَلوا يُهَنِّئونَني بالنَّجاةِ ثُمَّ عَلِمْتُ أنَّ البَعْضَ مِنْهُمْ سَيُواصِلُ السَّيْرَ إلى المدينَةِ الكَبيرَةِ فطَلَبْتُ أنْ أصْحَبَهُمْ إلَيْها، وسِرْتُ مَعَهُمْ ساعاتٍ كَثيرَةً حَتّى انتصَفَ النهارُ إلى أنْ لاحَتْ لنا مدينَةٌ كبيرَةٌ عالِيَةُ البُنْيانِ عامِرَةٌ بالنّاسِ والأسواقِ ورأيْتُ قَصْراً كبيراً كَثيرَ القِبابِ عالِيَ الأبْراجِ تحيطُ بهِ حديقةٌ واسعةٌ فسألْتُ عنْ هٰذا القَصْرِ، فقالُوا لِي إنّه قَصْرُ السُّلْطانِ. ودخلْنا بَعْدَ ذٰلِكَ بيتاً جميلاً لَهُ حَديقَةٌ، فاسْتَقْبَلَنا صاحِبُ البيتِ مرحِّباً مُبْتَسِماً. ثم جَلَسْنا في مَكانٍ فَسيحٍ وجِيءَ بالطَّعامِ والشَّرابِ فأكَلْنا وشَرِبْنا وحمدْنا اللّهَ. وجَلَسَ صاحِبُ البيتِ يَسْمَعُ حِكايَتي مِنَ الّذينَ صحِبُوني وهُوَ يَتَعَجَّب. وفي النِّهايَةِ قَالَ لِي: «مَرْحباً بِكَ في بَيْتي وسَتَكونُ ضَيْفي ما حَيِيتَ». فشكَرْتُ للرَّجُلِ كَرَمَهُ وفَضْلَه.

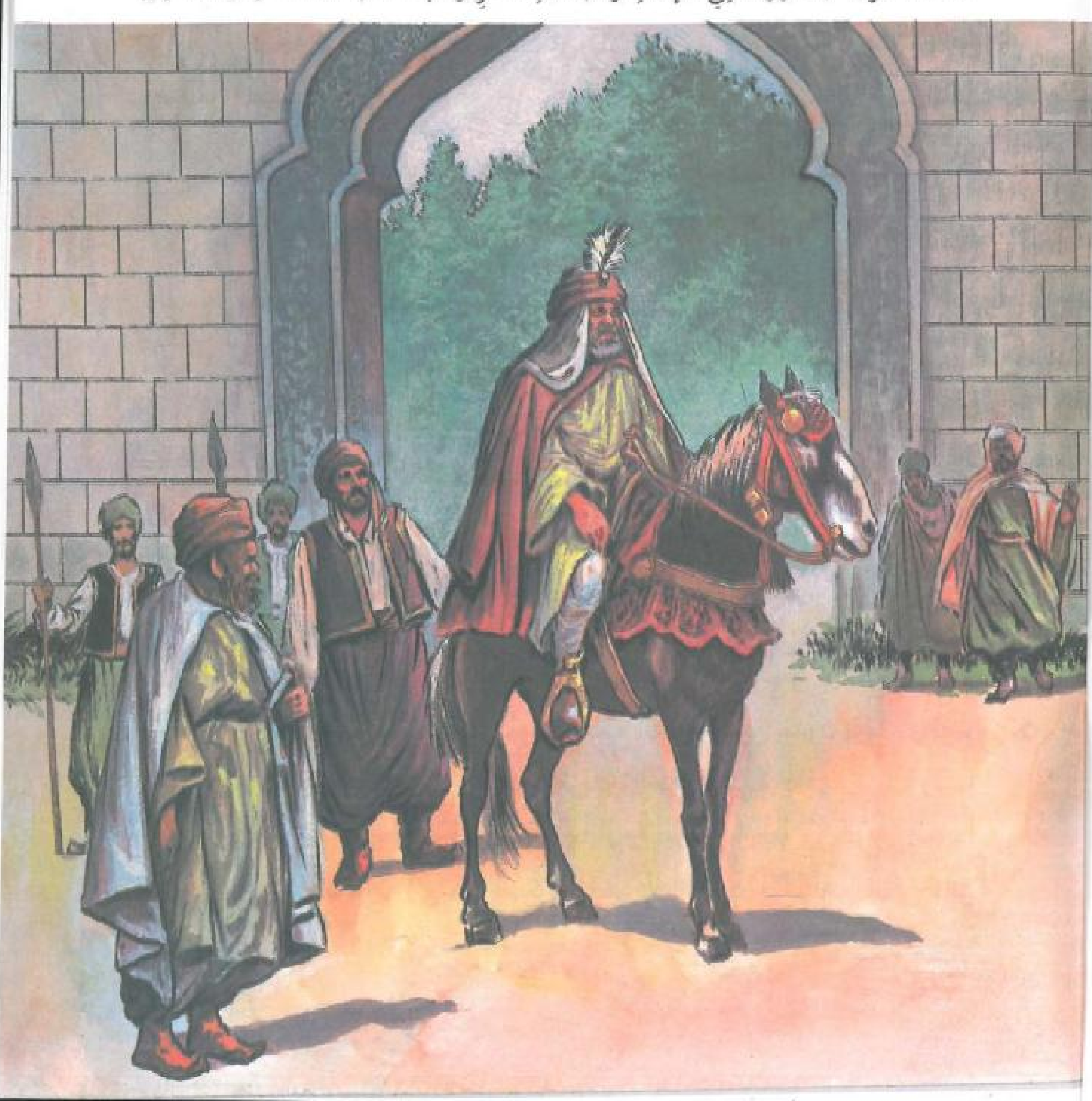
ولَمْ نَكَدْ نجلِسُ بَعْدَ ذٰلِكَ قليلاً إلا وسَمِعْنا جَلَبَةً وأصواتاً خارِجَ الدّارِ. فترَكَنا الرَّجُلُ لِيَنْظُرَ ما الأمْرُ وعادَ إليَّ لِيقولَ إنّ هٰؤلاءِ القومَ هُمْ رُسُلُ السُّلْطانِ وجُنْدُهُ جاؤُوا في طَلَبِي. فانْزَعَجْتُ وبَدَا الخَوْفُ على وجهي وتساءَلْتُ كَيْفَ عَرَفَ السلطانُ بأمْري؟ فابْتَسَمَ الرَّجُلُ وهُوَ يَقولُ: «إنَّ السُّلْطانَ لا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ في هٰذا البَلَدِ». وسألْتُهُ: - وفي أيِّ شيْءٍ يُريدُني السُّلْطانُ؟ فأجابَني الرَّجُلُ بأنَّهُ لا يَعْلَمُ. ونَصَحَني بأنْ أنْصاعَ لأمْرِهِ وأذْهَبَ مِنْ فَوْري مَعَ جُنْدِه. ولَمْ أجِدْ مفرّاً مِنْ ذٰلِكَ فقُمْتُ إلَيْهِمْ وسِرتُ مَعَهُمْ إلى قَصْرِ السُّلْطانِ، وأحْسَسْتُ بِرَهْبَةٍ وخَوْفٍ وأنَا أدْخُلُ مِنْ بابِهِ الكَبيرِ والحرّاسُ بأيديهِمْ الحِرابُ والسُّيوف. وهُمْ في وِقْفَتِهِمْ لا يَنْظُرونَ يَميناً أو يَساراً ولاَ يَرْمُشونَ حتّى بأعْيُنِهِمْ مِمّا جَعَلَ الرُّعْبَ يدبُّ في أوْصَالي. وانْتَهَيْنا بعْدَ ذٰلِكَ إلى حَديقَةٍ كَبيرَةٍ واسِعَةٍ فِيها مِنْ

كُلَّ ما خَلَقَ اللَّهُ وما أَنْبَتَتِ الأَرْضُ مِنْ ثِمارٍ وأَزْهارٍ وتتوسَّطُها ساقِيَةُ ماءٍ مِنَ الرُّخامِ عَلَى جَوانِبِها تَماثِيلُ لِحَيَوانَاتٍ تُخْرِجُ الماءَ مِنْ أَفْواهِها. لَكِنِّي كُنْتُ مَشْغُولاً عَنْ هٰذا كُلِّه بِخَوْفِي مِنْ مُثُولِي بَيْنَ يَدَيْ هٰذا السُّلْطانِ الَّذِي لا أَعْلَمُ ماذا يُرِيدُ مِنِّي أو ما سَيَفْعَلُهُ بِي.

دَخَلْنا القَصْرَ وٱنْتَقَلْنا مِنْ رَدْهَةٍ إلى أُخْرَى ومِنْ قاعَةٍ إلى قاعَةٍ حَتَّى وَقَفْنا فِي النِّهايَةِ بِبابٍ كَبِيرٍ عليهِ حراسٌ غِلاظٌ شِدادٌ، يحمِلُونَ بِأَيْدِيهِمْ سيوفَهُمْ وحِرابَهُمْ. وحينَ رآنا كبيرُهُمْ دَخَلَ إلى القاعَةِ ثُمَّ عادَ إلَيْنا وأَذِنَ لِي وَحْدِي بالدُّخُولِ. وما أَنْ دَخَلْتُ إلى القاعَةِ حَتَّى رَأَيْتُ السُّلْطانَ جالِساً في صَدْرِها وحَوْلَهُ وُزَراؤُهُ وعَدِيدٌ مِنْ أَعْلامِ قَوْمِهِ. فتقدَّمْتُ بخُطُواتٍ مضطربَةٍ وقَلْبٍ يرتجِفُ خوفاً. ثُمَّ انحنَيْتُ أمامَهُ، قائلاً: «حفِظَ اللَّهُ السلطانَ وأدامَ مُلْكَهُ». فرأيْتُ الرَّجُلَ وقَدْ نَهَضَ مِنْ مجلِسِهِ على عَرْشِهِ وتَقَدَّمَ إِلَيَّ مُبْتَسِماً وهُوَ يَقُولُ: «مَرْحَباً بضَيْفِنا العَزِيزِ. وأهلاً بِكَ فِي مَمْلَكَتِنا». وحِينئِذٍ تَبَدَّدَ خَوْفِي وٱطْمَأَنَّتْ نَفْسِي ونَهَضْتُ واقفاً فَأَمْسَكَ بِيَدِي وأَجْلَسَنِي بِجِوارِهِ. ثُمَّ أخَذَ يسأَلُنِي عَنْ حالِي وسَبَبِ قُدُومِي إلى هٰذا البَلَدِ. فأخْبَرْتُهُ بِكُلِّ حِكايَتِي ورَوَيْتُ لَهُ قِصَّتِي كامِلَةً. وكانَ السلطانُ يتعجَّبُ مِمَّا يسمعُ وكلُّ مَنْ حَوْلَهُ ينظرُونَ ويستمِعُونَ وهُمْ في غايَةِ العجبِ والدَّهْشَةِ. ولَمْ أكَدْ أنتهِي حَتَّى سَمِعْتُ السُّلطانَ يقولُ: «مِثْلُكَ أيُّها الرجلُ مَنْ يَستفيدُ مِنْهُمُ المُلُوكُ. ومِنَ الآنَ ستكُونُ أحَدَ المقرَّبِينَ مِنِي الَّذِينَ أَسْتَشِيرُهُمْ وأَسْتَمِعُ لرأْيِهِم. ثُمَّ أمَرَ بأنْ يُجَهَّزَ لِي مَكانٌ فِي القَصْرِ يَلِيقُ بِمُقامِي عِنْدَه».

وأقمْتُ بقصرِ السلطانِ زَمناً ليسَ بالقَصِيرِ وقَدْ وَهَبَنِي مالاً وهَدايا كثيرةً وأصبَحْتُ مُقَرَّباً لَدَيْهِ، يطلبُ مِنِّي المشورَةَ فِي كثيرٍ مِنْ أمورِ دَوْلَتِهِ. وفي يومٍ خرجْنا جميعاً للصَّيْدِ فعجِبْتُ إذْ رأَيْتُ الجميعَ يمتطُونَ الجِيادَ بِغَيْرِ سُرُوجٍ أَوْ رُكُبٍ. وما أنْ تحرَّكَ المَوْكِبُ حَتَّى وجدتُهُمْ يسقُطونَ مِنْ عَلَى ظُهُورِ الخَيْلِ كلَّما أَسْرَعَتْ. فتقدَّمْتُ مِنَ السُّلْطانِ الَّذِي كانَ يُحاوِلُ أَنْ يظَلَّ على ظَهْرِ جَوادِهِ ويُعانِي مِنْ جَرَّاءِ ذٰلِكَ مُعاناةً شَدِيدَةً. وقلتُ لَه: «يا

مَوْلايَ، إِنِّي أستَطِيعُ أنْ أصْنَعَ لَكَ سَرْجاً تَضَعُهُ عَلى جوادِك يَكُونُ لَكَ فِيهِ الراحةُ والأَمَانُ». فدُهِشَ المَلِكُ لِقَوْلي وقالَ: «أيُّ سَرْجٍ هٰذا الَّذِي تَتَحدَّثُ عَنْه؟؟ فنحنُ لَمْ نَسْمَعْ عَنْ شيْءٍ مِثْلِ هٰذا ولَمْ نَعْرِفْهُ قَبْلَ ذٰلِكَ؟!»، فَقُلْتُ لَهُ: «يا مَوْلايَ إِنَّني أستَطِيعُ أنْ أصْنَعَهُ لَكَ بِنَفْسِي»، وبَعْدَ عَوْدَتِنا أرْسَلْتُ بَعْضَ الحُرّاسِ لِيَشْتَرِيَ لِي كُلَّ ما أحْتَاجُهُ لِصِناعَةِ السَّرْجِ ثُمَّ بَدأْتُ فِي العَمَلِ مِنْ فَوْرِي فَما مَضى سِوَى أيّامٍ قَلِيلَةٍ إلاّ وكُنْتُ قَدْ صَنَعْتُ سَرْجاً جاءَ رَوْعَةً فِي الإتقانِ والجَمالِ للنَّظَرِ وطَلبتُ مقابَلَةَ السُّلْطَانِ وقدَّمْتُهُ إليهِ



فأخذَ ينظُرُ إليهِ فرِحاً متعَجّباً ونادى علَى كلِّ مَنْ فِي القَصْرِ ليُشاهِدَه. ثم نزَلْنا إلى حيثُ الخيلُ فوضَعْتُهُ على جَوادِ السلطانِ الخاصِّ وطلبتُ إليْهِ أنْ يمْتَطِيَه ففعَلَ واستَوى فوقَهُ ووضَعَ قدَمَيْهِ في الرِّكاب وأخذ يجولُ بِهِ ويصولُ في الحديقةِ وهُوَ في غايةِ السَّعادةِ والنَّشوةِ، ووَقفَ الجميعُ ينظرُونَ وكأنَّهُمْ يَرَوْنَ عجباً. وأقبَلَ الجَميعُ وعلى رأسِهِم السلطانُ يهنِّئونَني على هٰذا العَمَلِ العظيم. وفي اليومِ التالي طلبَ السلطانُ مِنِّي أنْ أصْنَعَ لجَميعِ أمَراءِ المَمْلَكَةِ ووزرائِها سُروجاً لخُيُولِهم. على أنْ يَدْفعَ كُلٌّ منهُمْ وَزْنَ سَرْجِهِ ذَهَباً. أما السُّلْطانُ نَفْسُهُ فَقَدْ وَهَبَ لِي مالاً كثيراً مَعَ ثَلاثَةِ صَنادِيقَ مَمْلوءةٍ بالدُّرِّ والجَوْهَرِ النَّفِيس..

ولَمْ تَمْضِ عدَّةُ شهورٍ حتَّى كنتُ قَدْ فَرَغْتُ مِنْ صِناعَةِ السُّرُوجِ للأُمَراءِ والوُزَراءِ وجَمَعْتُ مِنْ وراءِ ذٰلِكَ مالاً لا يُحْصَى ولا يُعَدُّ..

وخَرَجَ الجَميعُ مَعَ السُّلْطانِ بَعْدَ ذٰلِكَ للصَّيْدِ والقَنْصِ فَما وَقَعَ واحِدٌ مِنْهُمْ مِنْ فَوْقِ فَرَسِهِ.. ثُمَّ عادَ السلطانُ وطلبَ أنْ أُقِيمَ مَبْنًى كبيراً وأتَّخِذَ العديدَ مِنَ العُمَّالِ والصُّنَّاعِ ثُمَّ أعلِّمَهُمْ كَيْفَ يصْنَعُونَ هٰذِهِ السُّرُوجَ مِنْ أجْلِ فُرْسانِهِ وجنودِهِ وأفْرادِ شَعْبِهِ على أنْ يَكُونَ لِي أجْرٌ عَلَى كلِّ ما أصْنَعُه أنا وعُمَّالي. ولمْ يَمْضِ وقتٌ كَبِيرٌ حتَّى كُنَّا قائمينَ بِهٰذا العَمَلِ. وأقْبَلَ الكَثِيرُ مِنْ أفْرادِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ هٰذِهِ السروجَ ممَّا عادَ عليَّ فِي النهايَةِ بالنَّفْعِ العَظِيمِ والثَّرْوَةِ الطَّائلَة.

وهٰكذا طَابَتْ لِي الحَياةُ أعْواماً ثلاثَةً ذاعَ فِيها صِيتِي بَيْنَ النَّاسِ وأصبَحَ المصنَعُ الذي شيَّدْتُهُ لهٰذِهِ الصناعَةِ قِبْلَةَ أهْلِ المدِينَةِ وجَميعِ الغرباءِ الَّذِينَ يفِدونَ إليْها. وأصبحَ اسْمِي يتردَّدُ على لسانِ الصَّغِيرِ والكَبِيرِ، والقريبِ والبَعيدِ. حتَّى كانَ ذاتَ يوم، وبَيْنما أنا جالِسٌ أُباشِرُ العملَ إذْ وقَفَ أمَامِي رَجُلٌ ما أنْ رَأيْتُهُ حتَّى أخَذْتُهُ بَيْنَ ذراعيَّ سَعيداً برؤيَتِهِ غيرَ مُصَدِّقٍ بوصُولِهِ إلى هٰذا المَكانِ. فَقَدْ كانَ الرجلُ أحدَ التُّجارِ الذين كانُوا

يتعاملُونَ مَعِي فِي بغداد. وبَعْدَ العِنَاقِ والتَّرحابِ سَأَلْتُه فِي دَهْشَةٍ كَيْفَ وَصَل إلى هٰذا البَلَد؟ ومَنِ الَّذِي دَلَّهُ عَلَى هٰذا المَكَانِ؟ فأجَابَ الرَّجُلُ ضَاحِكاً: «لَقَدْ وَصَلْتُ إلى هُنا فِي مَرْكَبٍ كَبِيرٍ. ونزلْتُ إلى المِينَاءِ للبَيْعِ والشَّراءِ مَعَ بقيَّةِ الرُّكَّابِ. ودَخَلْتُ أحَدَ المَتَاجِرِ لِشِرَاءِ حَاجَاتٍ لِي فَرَأَيْتُ فِي المَتْجَرِ سَرْجاً جَمِيلَ الشَّكْلِ جيِّدَ الصُّنْعِ، فسألْتُ صَاحِبَ المتْجَرِ عنْ ثَمَنِهِ فقالَ إنَّهُ لَيْسَ للبَيْعِ وإنَّمَا صُنِعَ مِنْ أجْلِهِ هُوَ. فقلْتُ لَهُ: ومِنْ أيْنَ آتي بِوَاحِدٍ مِثْلِهِ فدَلَّنِي عَلَى هٰذا المَكَان..»

فقلتُ حَمْداً لله على أنْ جَمَعَنِي بِكَ. ولٰكِنْ أيْنَ سَفِينَتُكَ الآنَ؟ فقالَ إنَّها بالمِينَاءِ، وأخْبَرَنِي أنَّهُمْ سَيَرْحَلُونَ بَعْدَ أيَّامٍ قَلِيلَةٍ. فقلْتُ لهُ إنِّي سأرْحَلُ مَعَكُمْ فأَخْبِرْ قبطانَ المَرْكَبِ ألَّا يَبْرَحَ المِينَاءَ بِدُونِي. وأنْتَ وجمِيعُ الرُّكَّابِ ضُيُوفِي الليلةَ فاذْهَبْ وأحْضِرْهُمْ.

وبَعْدَ أنْ ذَهَبَ الرَّجُلُ إلى حَيْثُ كانَ زملاؤه، أسرَعْتُ بالذَّهَابِ إلى قَصْرِ السُّلْطَانِ وأخْبَرْتُه بما حَدَثَ وطَلَبْتُ إلَيْهِ أنْ يَسْمَحَ لِي بالسَّفرِ مَعَهُمْ. فقالَ السلطانُ: «إنِّي لَيَحْزُنُنِي أنْ تَتْرُكَنَا وتَرْحَلَ عنَّا. لٰكِنَّ ما قدَّمْتَهُ لَنا مِنْ عَمَلٍ جَلِيلٍ يَجْعَلُنِي لا أرْفُضُ لَكَ طَلَباً. وإنِّي أعْلَم مَدَى اشْتِيَاقِكَ لوطنِكَ فاذْهَبْ عَلَى بَرَكَةِ اللّٰه». ثُمَّ أمَرَ لِي بِمُكَافَأةٍ كبيرةٍ وتَمَنَّى لِي التوفيقَ.

وأسْرَعْتُ بالعَوْدَةِ إلى المَصْنَعِ فَوَجَدْتُ الرَّجُلَ ومَعَهُ جَمِيعُ رُكَّابِ المَرْكَبِ فسُرِرْتُ برؤيَتِهِمْ واصْطَحَبْتُهُمْ جَمِيعاً إلى قَصْرِي وأكرَمْتُهُمْ غَايَةَ الكَرَمِ مِمَّا جَعَلَهُمْ فِي سَعَادةٍ بَالِغَةٍ..

وفِي اليومِ التالِي جمعْتُ كلَّ ثَرْوتِي وكُنُوزِي في صَنَادِيقَ وتوجَّهْتُ إلى المَرْكَبِ الَّذِي أقلع بنا في نَفْسِ اليَوْمِ آخذاً وِجْهَتَهُ إلى البَصْرة فوصَلْنَاها بَعْدَ عِدَّة شُهُورٍ لَمْ يَحْدُثْ في الرِّحْلَةِ ما يُعَكِّرُ صَفْوَنا، أو يُهَدِّدُ أمْنَنا.

وما أنْ رأيتُ المِينَاءَ عَنْ بُعْدٍ حتّى رَقصَ قَلْبِي طَرَباً وفَرَحاً لِعَوْدَتِي بَعْدَ غَيْبَةٍ دَامَتْ أكْثَرَ مِنْ أرْبَعَةِ أعْوامٍ.

وفِي البَصْرَةِ جهَّزتُ قافلةً كبيرةً اتّجهتُ بها إلى بَغْداد فوَصَلْتُها بَعْدَ عدَّةِ أيّام واستقبَلَنِي الجَمِيعُ بالتّرْحَابِ والفَرْحَةِ وتوجَّهتُ إلى قَصْرِي الذي تمَّ لَهُ ضِيَاؤُهُ واكْتَمَلَ بالنَّاسِ بَهَاؤُه.

وفِي اليومِ التَّالي ذهبْتُ إلى مَتْجرِي وعُمّالي فَرَأيْتُهُمْ فِي خَيْرِ حالٍ وقدّمُوا لي ما اجْتَمَعَ لَدَيْهِمْ مِنْ مالٍ وأرباحٍ طِوالَ هَذِهِ الأعْوامِ فكافأْتُهُمْ ووهبْتُ لَهُمُ المَالَ الكثِيرَ وتصدّقتُ علَى الفقَرَاءِ وشكَرْتُ اللّهَ على عَوْدَتِي سالِماً غانِماً وقَطَعْتُ عَهْداً عَلى نَفْسِي بألّا أُفكِّرَ فِي السَّفرِ مرَّةً أخْرى. ولَكِنْ كُنْتُ على مَوْعِدٍ آخَرَ مَعَ القَدَرِ.

فَإلَى اللِّقاءِ.



١	لماذا قرر «السندباد البحري» السفر مرة أخرى؟
٢	هل كسبَ السندباد ورفاقه مالاً وفيراً؟ لماذا لم يعودوا إلى البصرة؟
٣	هل بقي البحر هادئاً؟ ماذا حلَّ بالسفينة؟.
٤	بم تعلَّق السندباد لينجوَ؟ ما الذي أرعبه وهو في الماء؟.
٥	كيف واجه السندباد السمكة المتوحشة التي هاجمته؟ هل نجح؟ وماذا طلب إلى رفاقه؟.
٦	كيف تمكن السندباد ورفاقه من الوصول إلى الشاطىء؟.
٧	بم فوجىء السندباد ورفاقه وهم على أرض تلك الجزيرة؟ وكيف تصرفت تلك المخلوقات؟
٨	ماذا أعدَّت تلك المخلوقات للسندباد ورفاقه؟ وهل شرب السندباد من ذلك الشراب؟.
٩	ما كان تأثير ذلك الشراب على الرفاق؟ ولماذا أخرج المتوحشون اثنين منهم؟.
١٠	كيف هرب السندباد وإلى أين وصل؟.
١١	إلى أين وافق السندباد القوم الذين التقاهم؟ وهل كان مسروراً؟.
١٢	هل كان خوف السندباد عندما أرسل سلطان المدينة في طلبه في محله؟ ماذا كانت النتيجة؟.
١٣	ماذا قدَّم السندباد للسلطان وما كان رد فعل السلطان؟.
١٤	ماذا طلب السلطان إلى السندباد؟ وعلام حصل السندباد مقابل ذلك؟.
١٥	كيف التقى السندباد بالتاجر الذي كان يتعامل معه في بغداد؟ وماذا قرر بعد ذلك؟.

قاموس الألفاظ

أ

الإتقان: الإحكام.

الإعياء: التعب الشديد.

الامتعاض: الغضب وصعوبة التحمُّل.

إنصاع لأمره: أطاع أمره.

أوصالي: أعضائي.

ت

تشبَّثتُ بها: تعلَّقت بها.

ث

ثنايا الجبل: منعطفاته.

ج

الجلبة: اختلاط الأصوات والصياح.

الجشع: الطمع.

جليل: عظيم.

ح

حظيرة: زريبة.

د

الدر النفيس: الجوهر الغالي.

ذ

ذاع صيتي: اشتَهَرْتُ.

ر

رُكُب: مفردها ركاب وهو ما يعلَّق في السرج فيَجْعَل الراكبُ فيه رجله.

س

سكبْتُ: صببتُ.

ش

شداه: أقوياء.

ط

طابت: لَذَّتْ وحَلَتْ.

غ

غامت السماء: كانت ذات غيم.

غاصت: غطست.

غلاظ: مفردها غليظ وهو الشديد الفظّ.

م

ملاحقة: مطاردة.

ن

النعيق: صوت الغراب.

النهيق: صوت الحمار.

و

الوعورة: صعوبة المسلك.

وليمة: مأدبة.

ي

يصول: يثب.

يعاني: يكابد.

يفدون إلى المدينة: يزورونها.

يمتطيه: يركبه.



رحلات السندباد

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت

